# (٢) الكتـــاب الثانـــى

**وفيه باب واحد هو :**

باب الرد على عبدة النجوم

وغيرهم من فرق الملحدين

## ٢٢/ باب الرد على عبدة النجوم وغيرهم من فرق الملحدين وهو الكتاب الثانى

### بسم الله الرحمن الرحيم؛ حسبى الله وكفى ونعم الوكيل

والحمد لله الذى ابتدأنا بالهدى، واستنقذنا من الضلالة، والرد بحمده على ما كثر من الدلائل عليه، والدواعى التى دعت أولياءه إليه، فمن استدل بها عليه نظره، ومن قصر عن فهمها لم يره، فأى دلائل على الله ما أدلها وأعظم قدرها وأجلها، لقد بهرت عقل من عرفها من المؤمنين، ودلت من أيقن بالله من المستدلين، واضطرت العقول إلى رب العالمين.

فدلائل الله عليه منيرة لا تطفأ، وشواهد صنعه ظاهرة لا تخفى تدل من فكر فى صنع الله وتدبيره، ومعجز فطرته وتقديره، ولا يكفر بدلائل الله وتبصيره من اشتغل عن وعظه وتذكيره، وأقبل على لهوه وفجوره؛ وأنى يظفر بدلائل الله من أقبل على اللهو والمحال، وقل خوفه من الكبير المتعال؟!.. كلا لن يظفر بذلك من اشتغل عن آخرته بدنياه، وصد عن الله واتبع هواه.

ولن يكون ذلك بالله من العارفين، ولا إليه من الهادين، ولا عنده من المقبولين، ومن لم يكن لله من العارفين، لم يكن أبدا من المطيعين، ومن قصد ٢٣/إلى/دين الله ورغب فى طاعته، وهو مختار لترك طلب الأدلة إلى معرفته، ورضى بجهله وغفلته، كان داخلا فى الجهل بمعصيته، ومن كان بالله جاهلا، وعن دلائله غافلا، لم يكن عنده من المؤمنين ولا به من الموقنين، إذ رضى بالجهل والنقصان، واشتغل عن المعرفة والإيقان؛ فهو فى صفات الله متحير

جاهل، وعن الدلائل مستوهل ذاهل؛ إن عسف النظر فـــى ذلـــك ارتطـــم فـــى الضلال، وإن رضى بجهله فهو من أجهل الجهال، لا يملـــك لقلبـــه جنـــة مـــن الشيطان، ولا يؤمن عليه الدخول فى محظور ولا عصيان.

وإن عبد الله عبده بغير خشوع ولا إيمان، وإن جاهد على الطاعة نفســه، لم ينفعه عند الله علمه وحرصه، إذ كان مطيعاً بزعمه، من لم يكثر دلائله عليه، ولم يركن حقيقة الركون إليه، وكيف يركن إلى ما هو عنه متحير جاهل، وعـــن العلم بدلائله زائل؟!..

فليس العمل إلا بمعرفة الله، سبحانه وجل عن كل شأن شأنه؛ فـــالحمد لله الذى جعل الدلالات عليه للمستدلين، بما صنع من خلقه المصورين.

وبعد فإنى لما نظرت الجهل قد شمل كثيراً من الأنام، وقلـــت معرفتـــهم لذى الجلال والإكرام، حدانى ذلك على أن أضع كتاباً للمعلمين، ومن أراد معرفة ٢٤/الله من العاملين، وأراد التخلص من العذاب المهين/ فنسأل الله التوفيق فـــى ذلك بمنه، ونعوذ بالله من خذلانه، ونسأله التسديد بعونه، فإنه لا يوفـــق إلا مـــن هداه، ولا يصيب الرشد إلا من خافه واتقاه، ألا ورحم الله عبداً حذر على نفســـه من الدنيا فإن محبتها أصل كل فتنة، والركون إليها أول كل محنة، تصـــد مـــن أختها عن ذكر الرحمن، وتشغل من نالها عن الخشوع والإيمان، وتدعـــو إلـــى طاعة الشيطان، فكل من قضى من حوائجها، حاجة طاشت بـــه إلـــى أخـــرى، وأعقبته عند الله فقرا، فهو عن الموت غافل مغرور، وبلهوها جـــذل مســـرور،

وعن الله ذاهل مغمور، فهى تقوده إلى النار والعذاب، وتبعده عن رب الأربـاب، فهو من الموت على ميعاد، وهى إلى تضرم ونفاد.

فنسأل الله، تبارك وتعالى، أن يبارك لنا فى قليل حياتنا، وأن يحضرنـا عفوة عند وفاتنا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة مـن عرفـه حق معرفته، وأيقن به، وتخضع لعبوديته، ورجا عفوه عما سلف من خطيئتـه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفوته من بريته، شهادة من صدق بنبوتـه، وتقرب إلى الله بمحبته، واشتاق إلى لقائه ورؤيته.

٢٥/ وأشهد أن الساعة آتية لا ريب/ فيها، وأن الله يبعث من فى القبور، شهادة أرجو بها عفوة يوم النشور، وأشهد أن أمير المؤمنين **على بن أبى طالب، صلوات الله عليه**؛ كان خير البرية بعد نبيها،ﷺ، وأشهد بإمامة ولديه **الحسـن والحسين** ابنى رسول الله الفاضلين، وأشهد أن الإمامة من بعدهما فيمن طاب من ذريتهما، وسار سيرتهما، واحتذى بحذوهما، **واقتدى فى دينه بهما**.

اللهم يا مولاى فاكتبنى بذلك مع الشاهدين، وأشهد على بـالبراءة مـن الجاحدين، ووفقنى لسبيل الراشدين، واسلك بى طريق المهتدين، والحمـد لله رب العالمين، وصلى الله على مولاى وسيدى خاتم النبيين، وسيد الأولين والآخريـن، وعلى موالى وسادتى أهل بيته الطاهرين، الأخيار الأبرار الصادقين.

**قال الإمام المهدى لدين الله الحسين بن القاسم**، عليهما السلام: ثم نقول، من بعد توحيد خالقنا، والقول بالحق فى الله سيدنا، إن سأل سائل مسترشـد، أو

قال قائل متعنت ملحد : كيف السبيل وأفضاله، وبم يعرف، وما معرفته؟

قيل له، ولا قوة إلا بالله : أما السبيل إلى معرفة الله القدير، فالعقل المميز ٢٦/للأمور، وأما قولك: بم يعرف. فليس يعرف إلا بما أظهر/ من صنعه وتدبيره، ومعجز فطرته وتقديره. وأما قولك: وما معرفته؟ فمعرفته اليقين بألوهيته [1]، والإقرار والصديق بربوبيته، فإن سأل عن معرفة الله، سبحانه، وظهر دليله وإتقانه.

-فقال : أمعرفة الله اضطرار أم اختيار؟ فالجواب له فى ذلك أن معرفته اختيار، ولو كانت معرفته ضرورة، كمعرفة الأرض والسماء وغيرهما من الأشياء، لما كان بين معرفة الجاهل والعالم فرق، ولكان الخلق كلهم بالله عارفين، ولما كانوا أبداً جاهلين، ولكانوا جميعاً به موقنين، وعلى معرفته مجتمعين، وهذا محال عند أهل العقول، فأما من كان من الجهال، وأهل الحيرة والضلال، فلن يزال ذلك فى الشك متردداً حائراً، وعن اليقين بالله نائيا جائرًا. إذا رضى بتعطيل ما ركب الله من عقله، واستغنى عن المعرفة بجهله.

وإنه،وإن كان بالله جاهلاً، وعن اليقين به غافلاً، فليس بمعذور فى ترك طلب الدليل، والنظر والبحث عن الخطب الجليل، فإن عطل فى ذلك لم يكن معذوراً، وإن كان عن الله جائرًا مغموراً. إلا إنه الله، عز وجل، قد جعل له عقلاً وفكراً وتمييزًا وذكرًا، واضطره إلى درك صنع عجيب، لا يخلو فى الفعل

---

(١) فى أ : بالأهمية .

٢٧/ من أحد أوجه من عطلها، لم يضطر إلى حقيقتها، إذ جهلها/ وسنذكر إن شاء الله، ما يصح لذوى الألباب ويستدل به على الله رب الأرباب.

وذلك أنا نظرنا إلى أنفسنا إذ هى أقرب الأشياء إلينا فرأينا كل جارحة من جوارحنا قد جعلت لسبب ومعنى، ولا يجعل الشئ لصلاح الشئ[1] إلا عالم حكيم، بما صنع وبنى، من ذلك ما شهدنا فى جميع الحيوانات، منا ومن غيرنا، من عجيب تصويرها، وإحكام صنعها، وإصلاح منافعها وتعميرها، وما جعل الله لها من تفضيل أجسامها وتوصيلها، وشد إسرها وتعديلها، وإثبات مصالحها التى لولا هى لهلكت ودمرت، ولما تناسلت ولا كثرت، ومن ذلك ما جعل فيها من العقول لاجتلاب المنافع ونفى المضار، والمفاصل التى جعلها للحركة، فالمجيئ والإياب والإدبار، وما جعل من الحواس الخمس من العيان والسمع والشم والذوق واللمس، وجعل كل حاسة لشئ بعينه، لما أراد من ثبات الدليل وتبيينه، إذ لا يجعل الشئ للشئ إلا حكيم، ولا يدبر ويصرف إلا عليم.

ومن ذلك ما جعل من الذكور والإناث، وأبان فى ذلك الجعل والإحداث، فجعل كل زوج من ذلك يصلح للآخر، بتقديره لما أراد، سبحانه، من خلق النسل ٢٨/ وتكثيره، ثم جعل للنسل معايش فى صدور/الإناث بلطفه لما علم من فاقة الطفل وضعفه، وهذا ومثله لا يتم إلا بعلم عليم، وتدبير من صانع حكيم، ثم جعل، سبحانه، للأطفال بعد كبرهم، معايش غير معايشهم فى حال صغرهم، ليتم بذلك ما أراد من تعميرهم، فبسط لهم الكفاية من رزقه، بعد كمال تصويره

---

(١) فى أ : إذا.

وخلقه، وجعل فى الأجساد مداخلا للأغذية؛ لعلمه بفاقتهم إليها، وجعل لهم مخارج لها، إذ فطرهم عليها.

فلما نظرنا إلى عجيب ما صنع وافتطر، وبين من حكمته وأظهر، صح عندنا يقين اليقين أن الحكمة لا تكون إلا من حكيم، لإن الحكمة لا تهيأ إلا لعليم، لأن الجهل ليس معه نعمه، ولا يتم للطبائع التى إدعى الملحدون علم ولا حكمة؛ لأن الموت لا يكون حكيما ولا سميعًا، ولا يكون المصلح المنعم إلا رحيما. فمن ليكن ذلك.

قيل له، ولا قوة إلا بالله : ما نقول هل فيما ذكرنا حكمة تجل على الواحد الجليل؟!

**فإن قال: ليس فى ذلك حكمة . خرج من المعقول؛ وبان كذبه لجميع** أهل العقول : لأن جميع الحكم تقصر عما ذكرنا، ولا تمائل حكمة مولانا وسيدنا؛ ولو جاز كون حكمة من غير حكيم، وعلم ورحمة من غير رحيم؛ لجاز ٢٩/ كون رسول من غير مرسل، وآمر وناه، من غير ناه ولا آمر، ولو جاز/ ذلك لسمع كلام من غير متكلم، ولوجد تعليم من غير متعلم، وتفهيم وبيان من غير مبين مفهم، **ولو جاز ذلك لجاز أن يوجد ثواب** وعقاب، من غير مثيب ولا معاقب!!.

ولا يخلو الفعل فيما ذكرنا من صنع الله فى الحيوانات، وما ركب فى الأجسام من الآلات والأدوات، والآيات المحكمات النيرات، من أن يكون شاهدا على أنها من حكيم، أو شاهدا على أنها من غير حكيم، أو غير شاهد على شئ من ذلك. وإن كان شاهدا على أن الحكمة من غير حكيم، أمكن أن يشهد على

علم من غير عليم، وحليم[1] موجود من غير حليم، وإن شهد بذلك لم يسم عقلا، وخرج من الصحة فعاد جهلا؛ لأن العقل لا يجوز عليه شئ من المحال، ولا يقبل ما فسد من المقال؛ وإن لم يشهد على شئ من ذلك خرج من تمييز الأمور، ولم يفرق بين الخيرات والشرور، وإذا خرج العقل من التمييز فهو زائل فاسد، وما كان من العقول فاسداً لم يكن عدلاً ولا شاهداً. وإن شهد على أن الحكمة لا تكون إلا من حكيم، صح ذلك؛ لأن الحكمة لا تهيأ إلا من عليم، وإن رجع إلى مكابرته، وتردد فى شكه وضلالته، فقال : ليس فى ذلك حكمة.

٣٠/ **قيل له:** / ولا قوة إلا بالله : **هل تعرف الحكمة** أم لا؟

**فإن قال** : إنه لا يعرفها أصلا وادعى فى معرفتها جهلاً، كان لما ذكر من الجهل أهلا.

**وإن قال** : إنه يعرف الحكمة.

**قيل له** : ما الحكمة فى ذاتها، وما حقيقة صفاتها؟ فإن كان جاهلا بها، بطل ما ادعى من معرفتها، وإن كان عالما أجاب، وقصد إلى الحق والصواب، فقال : إن الحكمة ما أتقن من الأمور وبعد من الفساد والشرور.

**فإذا قال ذلك؛** قيل له : ويحك ما أجهلك، وأعظم كفرك، وأغفلك!!..

تقول : إن الحكمة ما حسن من الأفعال، وبعد عن الجهل والضلال، ثم تزعم أن ليس فيما ذكرناه حكمة من أعاجيب الصنع الجليل، وما بين الله من الدليل، وأقلم

---

(١) فى أ : وحليم.

على ذلك من شواهد العقول؛ لأن الحكمة لا تهيأ إلا بالحلم، ولا تتم إلا بـــالعلم، من ذى الجلال والإكرام.

**ودليل آخر** : لا يخلو صانع هذه الحكمة، من أن يكون حيًا قديمًا، وإمـــا أن يكون حيوانًا، وإما أن يكون مواتًا، فإن كان حيوانًا فهو كسائر الحيوانات فـى العجز عن دفع الآفات، ونوازل المحن المحدثات، و سلب ما يجب من الحيـلة[1]، وبيان الصنع فيه والدلالات.

وإن كان مواتًا فهو كسائر الجمادات، من التراب والحجارة، وغيرها من ٣١/الموات، والأجسام الجامدة المعقّلات/ ويستحيل أن يكون ذلك وما جانسه من المدبرات، خالقا بشئ من الحيوانات، وإن كان حيًا مدبرًا قديمًا، فقد صح ذلـــك؛ لأنه لو كان ميتًا لما كان حكيمًا، ولما كان قديرًا ولا عليمًا.

**ودليل آخر**؛ أنا قد أحطنا بجميع الأشياء علما، وأدركناها عيانًا وفـــهما، فلم نجدها إلا على حالين محدثين ومدبرين، بمشـــيئة الله، مصنوعيـــن، وهمـــا الحركة والسكون، اللذان لا ينفك منهما شئ موجود، وإذا صح حدثهما، وصح أن جميع الأشياء لم تنفك منها ولم تكن قبلها فهى فى الحدث مثلها، وسبيلها سبيلها.

**والدليل على أن جميع الأشياء** لا تنفك منهما، ولا توجد قبلهما، أنـــها لا توجد إلا زائلة متحركة، أو مقيمة ساكنة؛ فإن زالت فزوالها حركة، وإن أقـــامت ولبثت، فالسكون هو لبث وإقامة.

---

(١) فى أ : الحيوه.

والدليل على أن الحركة والسكون معنيان وشيئان غير الأجسام متغايران، أنا نجد الحركة تكثر من الشئ الواحد، فلا تكثر لكثرتها، وتقل تارة فلا تقل لقلتها، وتزول تارة فلا يزول لزوالها، ولا تبطل لبطلانها، مثل حركة النجم التى ٣٢/لا تحصى لكثرتها، والنجم واحد محدود، وحركته معدومه/ مضى منها، وهو بعينه موجود.

ونجد السكون كذلك يكثر أيضا لا يحصى، والساكن معروف بحدوده، وأقطاره موجودة فى محله وقراره، مثل الحجر التى لا يحصى ساعات سكونها، فكم من ساعة لا تحصى قد سكنت، وكم من يوم وليلة قد لبثت، فتلك الساعات قد عدمت، والحجر موجودة ما برحت.

والحركة والسكون على الجملة دهور وأزمان، وعلى التصنيف صنوف وأفنان، وكل ذلك دليل على حدث الأجسام، وبيان فاسد دعاوى **الدهرية** الطغاه، وأشباه عجم الأنعام، وأهل التكمة فى الإظلام، وسندل إن شاء الله على فساد قولهم، ونوضح من حدث الدهر ما عموا عنه، لجهلهم

**فإن سأل سائل منهم فقال** : ما الدليل على حدث ما مضى من الدهور، والأيام والليالى والشهور؟

**قيل له** ؛ ولا قوة إلا بالله : الدليل على حدوث ما مضى من الدهر وأزمانه، أنه لم يحدث ساعة إلا بعد حدوث ما قبلها وبطلانه.

**فإن قال** : وما أنكرت من أن يكون ما مضى من الساعات، ساعة قبل ساعة إلى مالا نهاية له؟

**قيل له** :؛ ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك؛ لأن مضى سن الساعات، لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يكون عدم وبطل بعد حدوثه، وإما أن يكون الآن ٣٣/موجوداً كله. فإن قلت :/ إن ما مضى من الحركة والسكون موجود فهذه محال؛ لأن ما مضى من الساعات التى هى السكون والحركات، فقد عدم كله بعد حدوث كل ساعة منه، وإذا عدم كله بعد حدوثه فهو محدث؛ لأن الساعات التى مضت، والأزمان التى بطلت، على حالين : حال وجدت فيه بعد عدمها أوجب حدوثها. وحال عدمت فيه بعد وجودها.

فأما الحال الذى كانت فيه موجودة، فهو حدوثها إذ حدثت، وأما الحال الذى عدمت فيه فهو وقتها، إذ تصرفت قبله بعد حدوثها فعدمت.

وإذا صح عدم جميع ما مضى، وتصرم بعد حدوث كله وانقضى، فقد صح ما قلنا به من ذلك، إذ هو فى الحدوث كذلك.

وإذا صح حدوث الدهر الذى هو كثرة الحركات والسكون، الذين لم تنفك الأجسام كلها منهما، فسبيله فى الحدث سبيلهما، وفى هذا ما قطع **أهل الإلحاد** والجحود، ودمغ، إن شاء الله، أهل الكفر والعنود.

وسنزيد، بعون الله بياناً ونوضح، إن شاء الله، صنع الله لسائلنا، بعد إيضاح جملة الدهر وكليته، وكرور أيامه وساعاته، وتبيين صوفه وأفنانه، ومجاله من الصنع وبيانه.

**فتقول** : إن الحركة أولا ما تحتاج إلى ذكره، إذ هي مشتملة على /٣٤حدوث السكون وغيره، وذلك أن مجال الحركة في صنوف من الأجسام، وأماكن من الموات والحيوان، وذلك مثل حركة النجوم والبروق والسحاب، ومثل **حركة الأشجار والرياح** والهواء، ومثل حركة أمواج البحار وجرى خف التراب والأنهار، وغير ذلك مما يتحرك من الجمادات في الليل والنهار، ومن الحركة ما يحل في الحيوانات، وسنبين، إن شاء الله تعالى، حدوث جميع الحركات وما يحل منها في كل حيوان وموات. **فأما ما يبدأ بذكره فهو حركة الحيوان**.

-**فإن سأل فقال:** ما الدليل على حدث حركة الحيوانات، وما ينكرون من أن يكون حركات قبل حركات، إلى ما لا يتناهى من الأوقات؟!

-قيل له ؛ ولا قوة إلا بالله: دلنا على حدث ما عنه، وفساد ما ظننت وتوهمت أنا قد بينا لك حدوث الحيوانات، فيما تقدم من كلامنا، وأوضحنا نهاية الأوقات في أول قولنا.

**ودليل آخر** ، أن حركة الحيوانات الأوائل المتقدمة، التي زعمت أنها غير متناهية، لا تخلو من أن تكون الآن كلها موجودة، أو هي الآن معدوم وبها معدومة، فوجود ما مضى من حركات الأولين محال؛ لأنهم إنما تحركوا قبل موتهم، في قيامهم وقعودهم، وإقبالهم وإدبارهم، وتنقلهم وسيرهم، والقيام والقعود فغير موجودين، بل يكونان عند جميع الخلائق معدومين، وإذا صح عدم جميع /٣٥/ الحركات، التي ذكرنا، تولدها/ من أجسام الحيوانات، فقد صح تناهي أجسامهم؛ لأن أجسامهم لم تنفك من حركاتهم، وللحركات نهاية وغاية، وحال عدم من جميعها فانتفى عنها العدم.

**ودليل آخر**؛ أن جميع الحيوانات لم تنفك أصولها من الحياة، ثم قد وقع الموت على جميعها، فهى فى حالين محدثين : حال أحييت فيه بعد موتها فحييت كلها، وحال أميتت فيه فماتت جمعها، وإذ لم تنفك من الحالين المحدثين فهى محدثة مثلهما، إذ لم توجد ولم تكن قبلهما، وسبيلها فى الحدث سبيلهما، إذا تضمنا أصول الحيوانات فلم تخرج منها، فكيف تتناهى الأصول، وقد حوت الحياة جميعها، ثم تضمنها الموت بعد حياتها.

**فإن قال** : و ما أنكرت أن طينة العالم قديمة لم تزل ميتة ثم حييت، وانتقلت من سكونها فتحركت؟!..

**قيل له** ؛ ولا قوة إلا بالله : أنكرنا قدمها الذى ذكرت؛ لأنها إذا كانت ميتة، كما زعمت، ثم حييت بعد موتها، فذلك دليل على محييها؛ لأن الحياة من أكثر النعم وأجلها وأعظمها، ولابد لكل نعمة من منعم؛ ويستحيل أن يكون الكوم من غير متكرم، إذ فى الحيوان من الحكمة ما لا يتم إلا لعالم، كما يستحيل أن يكون الكلام المحكم من غير متكلم.

**٣٦/ ودليل آخر** : إذا كانت الطينة -بزعمك- لم تزل / ميتة، ثم بطل موتها، فقد بطل قدم الموت، والقديم لا يبطل.

**فإن قال** : وما أنكرت من بطلانه؟! **قيل له** ؛ ولا قوة إلا بالله : لأن بطلان موتها يدل على حدوثها، وذلك أنها -بزعمك- قد أقامت ميتة، دهوراً طويلاً.

وإذا كانت كما زعمت فللدهور نهاية وغاية؛ لأن الدهر محدث، وما لم ينفك منه، فهو مثله فى الحدث؛ لأن الدهر قد انقطع كل ما مضى منه، ولم ينقطع إلا بعد حدوث كل ساعة من ساعاته.

**ودليل آخر** : إن الطينة التى لم تزل ساكنة ثم تحركت، فقد انقطع آخر سكونها، ولم ينقطع آخره إلا بعد انقطاع أوله، وإذا صح انقطاع أول السكون وآخره، فقد انقطع كله، وإذا انقطع كله، فله نهاية وغاية، وإذا صح أن لسكونها أولا وآخرا فقد انقطعتا، فقد صح حدوث السكون، وإذا صح حدوثه، فقد صح حدث الطينة، إذ لم تشبه، ولم توجد إلا بوجوده. وكذلك إن سأل عن الدليل على حدث ما مضى من حركات السحاب والبرق والرياح والأنهار والنجوم والجمادات من الأشجار:

**فالدليل** على حدوث ذلك أنا نراه لا يكثر إلا بعد قلته، ولا يزيد إلا بعد نقصانه، فإذا نظرنا فى ذلك، علمنا أن ما مضى من الحركات لا تحصى، وأنه ٣٧/كائن بعد حدوثه عدما، وما صح حدوثه/ وصح عدم جميعه فقد تناهى؛ لأنه على حالين متناهيين محدثين، وهما الحدوث والفناء، والحركات لن تنفك منهما.

فإن ادعى أن قبل الحركات سكونا قديما.

**قيل له** :؛ ولا قوة إلا بالله : أليس تعلم أن السكون قد انقطع آخره وأوله بعد حدوثهما، وبطلان جميع دهورهما. فهذا دليل على حدوث جملة جميع الحركة والسكون، وقد زعم بعض **الملحدين أن الفلك مدبر قديم**، وأنه لا أول

لحركـــته ولا غايـــة. ولا بـــدء لها ولا نهاية،وأن النجوم لم تزل تحرك ولا تغير، وتطير أبدًا ويدبر.

وســـنبين مـــن فســـاد قولهم، إن شاء الله تعالى، ما فيه مقنع لذوى الألباب ودلالـــة شـــافية على الله، رب الأرباب، فاستمعوا رحمكم الله بقلوب سوية وألطفو النظر فيما نقول بعقول جلية.

**فنقول**؛ ولا قوة إلا بالله : إن النجوم فى أنسها محدثة مدبرة. ومخلوقة بمشيئة الله مقدرة، وذلك إذا نظرنا فى جميع حالاتها، فإذا هى تدل على صانعها من قبل أجسامها وحركاتها، فأول ما نبدأ، إن شاء الله تعالى، ذكر حركة الفلك ومسيره، فنقول : إن النجوم لا تخلو فى جريها من أحد أربعة أوجه لا خامس لها: إما أن تكون جرت فوق الأرض فى جو المساء، قبل أن تجرى فى ٣٨ الفلك/ تحتها. وإما أن تكون جرت تحت الأرض قبل أن تجرى فوقها. وإما أن تكون لم تبدأ بالحركة قبل أن تجرى من تحتها ولا من فوقها. وإما أن تكون بدأت بهما معًا فى حال واحد.

- **فـــإن قلت** : أنها بدأت بالحركة من فوق الأرض، قيل أنه يجرى تحتها ناهيتها وأقـــدرت بحدثها من الفوق قبل التحت، وجعلت بدئها الحركة من أحد المكانين قبل الآخر.

- **وإن قلت** : إنها بدأت بالحركة من تحتها، قبل أن تحرك فوقها، ناهيتها أيضا، وجعلت الدث كان من التحت قبل الوصول إلى الفوق.

- **وإن قلت** : إنها جرت من الفوق والتحت معًا أحلت ؛ لأن النجم لا يوجد فى الفوق والتحت معًا فى حال واحد ؛ لأن الفوق غير التحت والتحت غير

الفوق، فكل نجم، مما ذكرنا، لا يخلو[1] من أن يكون سار من الفوق إلى التحت، أو من التحت إلى الفوق، أو لم يسر من أيهما.

-**وإن قلت** : إن النجوم لم تبدأ بالحركة من فوق الأرض ولا من تحتها، جحدت حركتها وأبطلتها وادعيت عدمها؛ لأنه لا يوجد إلا فوق الأرض في جو السماء، أو تحت الأرض في بعض الهواء، فهذا والحمد لله، دليل واضح على بدء حدثها وجريها، وإبطال ما قيل من قدمها، والله المستعان وهو حسبنه وعليه التكلان.

**٣٩/ ودليل آخر** : / أنا نجد النجوم على حالين : وهما الطلوع والأفول، ولا يخلو من أحد وجهين فيما مضى من الأزمنة : إما أن تكون تطلع وتأفل، وإما أن تكون لم تطلع ولم تأفل[2].

**فإن قلت** : لم تطلع ولم تأفل. جحدت حركتها، وإن أقررت بالطلوع والأفول، لم يخل من أحد ثلاثة أوجه : إما أن تكون طلعت قبل الأفول، وإما أن تكون أفلت قبل الطلوع، وإما أن يكونا جميعا في حال واحد.

**فإن قلت** : إنها بدأت بالطلوع قبل الأفول؛ أقررت بحدث الحركة من الطلوع قبل الغروب. **وإن قلت:** إنها بدأت بهما معا في حال واحد. أحلت وأقررت بالحدث وناقضت، وجعلت الطلوع أفولا، والأفول طلوعا، ولزمك أن

---

(١) في أ : لا يخلوا.
(٢) في أ : تبد.

تجعل الليل نهارًا، والنهار ليلاً، والوجود عدمًا، والعدم وجودًا، والباطل حقًا، والحق باطلاً.

**ودليلا آخر**؛ إن الذى مضى من الحركة على حالين، طلوع قبل غروب، وغروب قبل طلوع، وللقبل والبعد نهاية وغاية؛ لأنهما يدلان على الزيادة بعد النقصان، والنقصان يدل على القلة قبل الكثرة؛ لأن الحركات لم تكثر إلا بعد قلتها، ولا تزيد إلا بعد نقصانها، والزيادة بعد النقصان تدل على نهاية الزائد الذى كان ناقصًا قبل زيادة ما زاد فيه.

٤٠/ **ودليل آخر/** (أنا نجد النجوم) [١] إما أن يكون ما مضى من طلوعها أكثر مما مضى من غروبها، وإما أن يكون ما مضى من الغروب أكثر مما مضى من الطلوع، وإما أن يكونا سواء بسواء.

**فإن قلت** : إن الطلوع أكثر من الغروب، أو الغروب أكثر من الطلوع فيما مضى. جعلتهما متناهيين إذاً كانا متفاوتين، ألا ترى[٢] أن الطلوع إن كان أكثر مدة، فالمدة نهاية وغاية، لأن النجم إذا كان ما مضى من طلوعه أكثر ثمرة تشيأ عند غروبه، وإذا تشيأ، فللتسوية نهاية وغاية، فإذا كانا متشيئين مرة، ومتخلفين أخرى فقد صح تناهيهما، إذ لم تخلو مما ذكرناه.

---

(١) ما بين القوسين : بياض فى الأصل.
(٢) فى أ : ترا.

**ودليل آخر**؛ إن الذى مضى من حركة النجوم هما الحالان اللذان ذكرنا، وما مضى من الأشياء، فقد نفد وتقتضى، وما نفد فقد انقطع، وما انقطع فقد تناهى، ألا ترى أن الذى مضى طلوع وغروب، وكل فقد عدم وتناهى[1].

**ودليل آخر**؛ إن حركات النجوم لا تخلو من أحد وجهين : إما أن تكون موجودة وإما أن تكون معدومة.

**فإن قلت** :إنها موجودة. أحلت؛ لأن حركتها فى الأيام التى مرت على القرون الأوائل، غير حركتها فى الأيام التى مضت علينا؛ لأن الدهور التى كانت ٤١/ فيها أصولنا، هى غير الدهورالتى فيها اليوم فروعنا؛/ لأن تلك أيام عدمت، وهذه أيام حدثت، وهذا فما لا يقول بغيره عاقل.

**وإن قلت** : بل ما مضى من الحركات معدوم. فقد أقررت بالحق، وما عدم فقد تناهى

**فإن قال** : وما أنكرت من أن تكون الحركات وتعدم إلى ما لا نهاية له؟

**قيل له**؛ ولا قوة إلا بالله : مسألتك تحتمل وجهين : إما أن تكون عنيت ما هو الآن يحدث ويدور، وإما أن تكون عنيت ما مضى وفنى بعد حدوثه، فذلك متناهى؛ لأنه على حالتين متناهيتين، الحدوث ثم الفناء، وما يصح فناء كله بعد حدوثه كله، فله نهاية وغاية.

---

(١) فى أ : تناها.

**وإن كنت تريد بقولك** : لا نهاية له. ما هو الآن يدور من الحركات، فليس يعقل تناهيه وانقطاعه، إلا من المسموع، وقد أخبر الله فى كتابه، بانتثار الكواكب وانكدارها، وسقوطها حيث يريد وانحدارها.

**ودليل آخر** : إما أن يكون ما مضى من جرى الشمس فى المنزلتين اليمانية والشامية موجودا، وإما أن يكون معدوما.

**فإن قلت** : إنه موجود. أحلت؛ لأنه جرت على المنزلتين دهورا[1] مضت، قبل حدوثنا بأزمنة ما لا يحصيه إلا خالقها.

**وإن قلت** : إن ما[2] مضى من جزئيها معدوم تناهى جريها لما قدمنا من بيان تناهى المعدوم؛ لأن الذى مضى من جريها على حالين : حال فى المنزلة ٤٢/اليمانية، وحال/ فى المنزلة الشامية؛ وللحالين الماضيين النافذين نهاية وغاية.

وأيضا فقد يدل حدث حركات النجوم فى المشرق والمغرب، أنها ذات عدد، والعدد على وجهين متناهيين هما : الشفع والوتر، ولا يخلو ما فنى وعدم من هذه المرار وحساب الحركات والتكرار من أن تكون شفعا أو وترا، وللشفع والوتر نهاية وغاية؛ **لأن الشفع هو الازدواج، والوتر هو** الفرود من الحساب، وقد عدم الجميع مما مضى وتضمنه العدم والفناء.

---

(١) فى أ : دهور.
(٢) فى أ : إنما.

**فإن قال:** وما أنكرت من أن يكون قبل هذه الحركة ساكنة، ثم وجـــدت بعد سكونها القديم متحركة؟.

**قيل له** :؛ ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك من قدم السكون الذى ذكـــرت؛ لأنها لا تخلو فى حال سكونها من أحد وجهين : إما أن تكون سكنت[1] دهـــورا كثيرة وإما أن تكون سكنت دهورا قليلة، وللكثير والقليل نهاية وغاية، وقد قدمنـــا الدليل على حدث الدهر وغايته، وانقطاعه بعد حدوث ساعاته، والحركة والسكون فهما حالان محدثان لا ينفك الجسم منهما، وهما حقيقة الزمان، وما كان مضطرا إلى حالين محدثين لا يجد من أحدهما بدا، ولا عنهما معا بددا، فلابد له من بـــان بناه عليهما، واضطره فى الشاهد إليهما.

٤٣/ **فإن قال** : ما أنكرت من أن تكون النجوم تحركت قبل هذه الحركة/ التى دللت على انقطاعها بحركة لم تزل من طباعها؟

**قيل له**؛ ولا قوة إلا بالله : أنكرنا ذلك؛ لأنها لا تخلـــو مـــن أن تكـــون تحركت فى بعض الجهات أو لم تحرك فى شئ منها.

**فإن قلت** : لم تحرك فى شئ منهما. جحدتها؛ لأنها لا توجـــد إلا فـــى أماكنها من الأهوية، أو من غيرها.

**وإن قلت** : إنها تحركت فى بعض الجهات. فالجهات معروفـــة وهـــى الفوق والتحت والمشرق والمغرب واليمن والشام.

**فإن قلت** : إنها لم تزل تهوى وتحرك سفلا مما لا نهاية له من الأجـواء، أو قلت : إنها تحركت فى حال أزليتها علوا مصعدة مما لا نهاية له من الهواء.

---

(١) فى أ : كنت.

**أو قلت** : إنها تحركت من المشرق مما لا نهاية له، أو من المغرب إلى المشرق، مما لا نهاية له، أو من اليمن مما لا نهاية له، أو من الشام إلى اليمن مما لا نهاية له أيضا.

**فالجواب** : لك فى ذلك، وبالله توفيقنا، إنا أنكرنا ذلك؛ لأنها لا تخلو فى مسيرها من أى الجهات كانت حركتها من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها، من أن تكون قطعت بحركتها أماكنا متناهية، وإما أن تكون قطعت أماكنا[1] لا نهاية لها، وإما أن تكون لم تقطع بحركتها شيئا.

**فإن قلت** : إنها قطعت بحركتها أماكن لا نهاية لها. أحلت وناقضت؛ ٤٤/ لأنك قلت: قطعت بحركتها أماكن. فأوجبت/ نهاية الأماكن بقطع النجوم لها؛ لأن المقطوع متناهى، ثم نقضت قولك بقولك : لا نهاية لها. فأوجبت نهاية الحركة، إذ لم تكن الحركة إلا فى الأماكن المقطوعة المتناهية؛ لأن القطع للأماكن لا يكون إلا ببدء الحركة.

**وإن قلت** : إنها قطعت أماكن متناهية. أوجبت نهاية الحركة؛ لأن الحركة لم تكن إلا فى مكان، والمكان مقطوع، والمقطوع متناه[2].

**وإن قلت** : إنها لم تقطع بحركتها شيئا، لم تخل من أحد وجهين : إما أن تكون حركتها – هذه- كاختلاج العروق فى أماكنها، أو سيرا من مكان إلى مكان، فإن كانت حركتها من مكان إلى مكان، وقولك : لم تقطع شيئا. محال.

---

(١) فى أ : أماكن.
(٢) فى أ : متناهى.

لأن السائر منها لا يكون إلا قاطعا بحركته للهواء، وإذا تحركت الأجرام وسارت فلابد أن تقطع ما عبرت.

**وإن قلت** : إن حركتها كاختلاج العروق فى محلها، فقد حددت الحركة وناهيتها؛ لأنك – زعمت – أنها كانت تختلج فى مواضعها، ثم انتقلت عن الإختلاج، فانقطع منها؛ لأنها لما زالت عن ذلك المكان، بطل اختلاها، وثبتت حركتها وجريها، وإذا انقطع اختلاجها فقد تناهى؛ لأن الحركة أتت بعد انقطاع أوله وآخره.

٤٥/ وأيضا فإنه لا يخلو ما انقطع من اختلاجها من أن يكون عدم جميعه أم لا ، فلا نجد بدا من أن/ نعلم علما يقينا أن جميع ساعات الاختلاج، قد بطلت وعدمت جميعا بعدما حدثت.

**والجواب فى حدث حركات الرياح وهبوبها**، كالجواب فى حركات النجوم فى طلوعها وغروبها، وقطعها للأماكن المتناهية بمسيرها، وبيان الحدث فى حركتها وتسخيرها. وإذا صح حدث الحركة والسكون، صح أن صانعهما ومحدثهما بخلافهما، وأنه ليس بمتحرك ولا ساكن، لأنه لو كان متحركا أو ساكنا، لكان محدثا، وأنه لا يعقل ولا يعرف شئ من الأشياء، إلا بأن لهذه المحدثات صانعا بخلافها، وأنه، عز وجل، أولى بكل ما حسن من الصفات وأحق بالتنزيه عن شبه المحدثات، ومن أكرم صفات العلم، والعلم فهو ذاته.

**والدليل** على أنه عالم أنا وجدناه مصلحاً حكيماً، والحكمة لا تتم للجهال، وأيضًا فإن الجاهل ممنوع من العلم، والله ليس له مانع؛ لأن الممنوع مصنوع،

والله صانع، وإذا انتفى[1] عنه أن يكون ممنوعاً، أو يكون مدبرًا مصنوعًا، صح أنه لم يزل من الجهل ممتنعاً، وإذا لم يزل بريئاً[2] من الجهل والنقصان، فعلمه قديم بأبين البيان، وإذا كان علمه قديماً أزلياً، وكان من تأليف الغير إليه بريئاً، صح أن علمه هو ذاته؛ وكذلك قدرته وحياته؛ لأنه، سبحانه، لم يزل قادرًا حيًا سميعًا بصيرًا قويًا، وسمعه وبصره فهما علمه، وعلمه فهو قدمه، سبحانه، وقدمه ٤٦/وعلمه حياته، وحياته/ قدرته، وقدرته ذاته، وذاته حقيقته، وحقيقته وحدانيته.

**وحقيقة حكمته**، التى هى من صفات الذات هى علمه، سبحانه، بجميع المعلومات وحقيقة حكمته، عز وجل، فى صنعه للمحدثات فى اتقانه، لما صنع من المحكمات، التى لا تهيأ إلا بالحكمة الأزلية والصفة السابقة الأولية.

**وحقيقة عدله** إحسانه، فمن وصفه بالإحسان فقد عدله، ومن نسب إليه القبيح فقد جورّه.

**وحقيقة رحمته** لأولياءه ثوابه، **وحقيقة غضبه** على أعدائه عقابه، **وحقيقة كرم** ذاته عظمته قدرته، وحقيقة كرم فعله نعمته، وحقيقة عدله فى البلوى[3] تكليف ما يطاق، وحقيقة عدله فى التكليف إظهار الحسن من أفعال عباده، وإظهار الحسن خير من تركه، وحقيقة عدله فى الأمر بإظهار الحسن؛ لأن إظهار الحسن عاقبة حسنة من ثوابه، وحقيقة عدله فى خلق الكافر أنه لم يخلق كفره بل نهاه عنه وزجره، وأوعده على فعله وحذره.

---

(١) فى : انتفا.
(٢) فى : بريا.
(٣) فى أ : البلوا.

وحقيقة حكمته في خلقه لمن علم بمعصيته أن خلقه لجسم العاصي وعقله، وحياته بعد موته، وإيجاده بعد عدمه حكمة جليلة ونعمة عظيمة، وفعل النعمة والحكمة خير من تركها.

وأيضاً فليس يجب على الحكيم أن يترك الحسن من فعله، لعلمه بقبح ٤٧/ القبيح من فعل غيره/ وليس علمه بمعصية العاصي يدخله في معصيته، ولا علمه بخير المطيع يجبره على طاعته، وليس يثيب ويعاقب على علمه، وإنما يثيب العبد أو يعاقبه بفعله؛ لأن العلم هو الله، عز وجل، وليس يثيب الله على نفسه، وإنما يثيب العبد على حسن فعله وطاعته.

**فإن قال قائل** : فلم لا يجبر عباده على الطاعة كلهم؟

**قيل له**؛ ولا قوة إلا بالله : لأنه لو جبرهم على الطاعة، لكانت الطاعات فعله لا فعلهم، ولما استحقوا المدح على فعل غيرهم. وحقيقة عدله في سقم عباده وإمراضهم وموتهم، أن المرض والألم يدعو إلى الخوف من العذاب، والخوف يدعو إلى النعمة والثواب، ولو أمنوا الموت والأسقام، وشفوا من الأمراض والآلام، لعظمت ذنوبهم، ولهلك بسبب الأمان أكثرهم، ولقل خوفهم، وهاهم اليوم مع قصر أعمارهم، قد عظم هلاكهم،وجل ظلمهم وضلالهم[1].

فكيف لو أهملهم من ذلك وأنظرهم؛ ولكنه جاد علينا بذلك؛ لعلمه بضعفنا وأعاننا به على جهاد أنفسنا؛ لأنا وجدنا الخوف يمنع من اللذات، ويشغل عنه فعل السيئات، ويدعو إلى فعل الحسنات، ويدعو إلى الإقصار عن الموبقات.

---

(١) في أ : وظلالهم.

٤٨/ **والدليل على للصناع رسولاً** أنه حكيم والحكيم لا يهمل خلقه من الأمر/ بالخيرات، والنهى عن المنكرات، ولا يكون ذلك إلا كلاماً مسموعاً، فوجب أن يرسل إليهم رسولاً مسموعاً مسمعاً.

**وحقيقة عدله فى ذبح البهائم وإحلالها**، أن لها على ذلك ثواباً فى آخرتها، وليس ألم البهائم و إتعابها إلا دون ألم الأخيار وموتها.

**وحقيقة عدله ونفى الجور** عنه أنه غنى عن الجور، غير محتاج إليه، وأنه عالم بقبحه وإذا كان عالماً بقبحه غنياً عنه لم يفعله.

**وحقيقة الدليل على البعث** أن الصانع حكيم، والبعث والحياة خير من موت الأبد.

-**ودليل آخر**؛ أنه لم يخلق الخلق إلا لينفعهم بالبقاء، إذ لا منفعة فى الهلاك والفناء.

-**ودليل آخر**؛ أن موتهم بالكلية لا ينفعه ولا ينفعهم، و شئ لا ينتفع بفعله لا يكون من فعل حكيم.

-**ودليل آخر**؛ أن بعثهم بعد موتهم لا يؤده ولا يعجزه، وإذا لم يعجز عن فعل الخير وجب عليه فعله.

-**ودليل آخر**؛ إنه أمر ونهى[1]، فأطاعه قوم وعصاه آخرون، وقد وعد من أطاعه بالثواب وأوعد من عصاه بالعقاب؛ ثم انقضت آجال المطيعين ولم ٤٩/يثابوا، وانقضت آجال العاصين ولم يعاقبوا، فعلمنا أنه ثم داراً غير هذه الدار يثاب فيها المحسنون، ويعاقب فيها المسيئون؛ لأن المطيع يجب له

---

(١) فى أ : ونهاه.

الثواب، وكذلك يجب على أهل المعصية العقـــاب، لأن الحكيـــم/لا يخلـــف الميعاد؛ لأنه غنى عن إخلاف وعده ووعيده؛ ألا ترى[1] أن المخلف لوعـــده إنما يخلفه لأحد ثلاثة أوجه :إما لاجتلاب منفعة، أو دفع مضـــرة، أو عبـــث وسفه، فاجتلاب المنافع واللذات لا يكون إلا للمحدثات؛ لأن لذة المنفعـــــة لا تصل إلا إلى كل شئ أو بعضه، والكل والبعض لا يكون إلا مخلوقاً محدثـــاً ومربوباً مدبراً؛ لأن المحتاج المضطر لابد له من مانع منـــــه مـــن الغنـــى والسعة، وألجأه واضطره إلى الحاجة؛ وكذلك الدافع عن نفسه للمضار، يكون محتاجاً إلى الدفاع عن نفسه ملجأ مضطراً إلى الخوف من هلكته؛ ومن كـــان مضطرًا معنفاً خائفاً، لم يكن رباً ولا خالقاً؛ لأنه محل للخوف واللذات، ملجأ إلى المحن النازلات؛ غير آمن المهلكات، فهاتان صفتان للمخلوقين، تعـــالى عنها رب العالمين، وفاطر السموات والأرضين، وخالق الخلـــق أجمعيـــن ومجيب المضطرين، وأرحم الراحمين، وأعظم الأعظمين، وأكرم الأكرمين.

وأما العبث والسفه فإنما تولد من الشهوات والهوى[2]، والخالق، تبـــارك وتعالى، لا يشتهى ولا يهوى؛ لأن الهوى والشهوة عرض يحل فـــى القلـــوب، ويتعالى عنه علام الغيوب.

وأيضا فقد نجد من المخلوقين الضعفاء المحتاجين، من لا يخلف وعـــده، ٥٠/ولا نقض أبدًا عهده، مع ضعفه وحاجته/ ومســـكنته وفاقتـــه وقلـــة علمـــه وحكمته، فكيف بمن لا يضعف عن التدبير ولا يهن عن التقدير ولا يحتاج إلـــى ظلم عبده، وإخلاف وعده ووعيده، ومن هو أحكم الحكماء، وأعلم العلماء وأرحم

---

(١) فى أ : ترا.
(٢) فى أ : الهوا.

الرحماء، وأقدم القدماء، وأخبر الخابرين؛ وأقدر القـــادرين، وخـــير الغـــافرين وأحسن الخالقين، وأرزق الرازقين، وأسرع الحاسبين، وأقرب الأقربين، ومـــن عظمت منته ووسعت رحمته، وبانت حكمته، وظهرت نعمته، وقـــامت حجتـــه، وتمت كلمته، ونفدت مشيئته، وقهر سلطانه، وعم إحسانه، وعظم شانه، ووضـــح برهانه، وكمل عدله، وجل فضله، وكرم فعله، وبلغت رسله، والحمـــد لله ولـــى النعم، والفضل والكرم، على بره[1] ونعمه، وفضله وكرمه، وصلـــى الله علـــى نبينا، ومولانا محمد وآله، وسلم تسليما.

***تم كتاب عبدة النجوم***

***يتلوه كتاب الطبائع***

---

(١) فى أ : بر.